الفهرس :

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليّ من الذل، فاستحق التكبير والتعظيم حتى عمّ فضله كل شيء سبحانه وتعالى، ولم يترك لغيره فسحة للظهور. وصلى الله على محمد عبده ومظهره، الذي انزل القرآن العظيم على قلبه وأنطق به لسانه، وبعد:

يا بني، إن الله خلق العالم كله ولم يمنحه الوجود معه؛ فجعل هذا العالم كالسراب، إذا جئته لم تجده شيئاً ووجدت الله عنده واحداً أحداً صمداً ليس معه أحد. و(الصمد) في لغة الحق تعني أنه ليس بأجوف، أي لم يترك فسحة في الكون لغيره، فلا يشاركه شيء، بل له ما في السماوات وما في الأرض، وكل شيء مظهرٌ له يتجلى فيه بأفعاله وصفاته وذاته.

فلا منتفع إلا وقد انتفع بمخلوق، ولا متضرر إلا وقد تضرر بمخلوق، مع أن المخلوق في الحقيقة لا ينفع ولا يضر، ولا يقع شيء إلا بحول وقوة الله وحده، وإن بدا لنا في الظاهر أنه بحول وقوة المخلوق. لذلك كان المخلوق مظهراً لصفات الله وأفعاله، مع أنه غير موجود في الحقيقة الاستقلالية؛ لأن مظهر الشيء لا يمكنه الوجود من تلقاء نفسه دون مَن هو مظهرٌ له.

وكمثال على ذلك: الحصير المصنوع من "الحلفاء" هو مظهرٌ للحلفاء، ولا وجود له معها؛ لأننا إذا نزعنا هذه الحلفاء منه لم يبقَ شيء من الحصير. وهذا المثال يكشف كذلك بطلان القول بـ (الحلول والاتحاد)؛ لأن الحلول والاتحاد لا يكونان إلا بين اثنين: حالّ ومحلّ فيه، أو متحد ومتحد معه، والحلفاء في

مثالنا هذا لم تجد الحصير موجوداً فحلّت فيه أو اتحدت معه، بل هي أصل وجوده.

يا بني، إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء؛ لأن إشراك أي شيء من المخلوقات مع الله في أفعاله وصفاته هو جهل تام بالخالق، وهو الضلال المبين، ومن ثم الكفر بنعمة الله ونسبتها لغيره، وشكر ما سواه مع أنه المنعم الوحيد، قال تعالى :(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)

يا بني، من عرف الله عرف كل شيء، ومن لم يعرف الله لم يعرف شيئاً؛ لأن الله هو حقيقة كل شيء، وغيره مجرد ماء في سراب؛ فمن عرف الحقيقة أدرك الأصل، ومن عرف ماء السراب لم يمسك إلا الوهم.

يا بني، إني ــــ وأعوذ بالله من كلمة أنا ــــ أكتب كتابي هذا، رغم أني لست من أهل التأليف بل متطفل عليهم، راجياً من الله أن يتقبله كصدقة جارية لي ولوالديّ ولمن علمني؛ فإني علمت من حديث الرسول ﷺ أن الميت ينقطع عمله إلا من ثلاث: ابن صالح يدعو له، أو صدقة جارية، أو علم نافع. وأرجو أن يكون كتابي هذا علماً نافعاً للمسلمين كافة، فهو علم خصصته لمعرفة الله وتوحيده حتى لا يُشرك به شيء. ولا أظن أن هناك علماً أفضل من هذا؛ لأن فضل العلم يقاس بفضل المعلوم، فكلما كان المعلوم فاضلاً كان العلم به فاضلاً؛ فعلم الطب البشري أفضل من علم الطب البيطري لأن الإنسان أكرم من الحيوان، وهكذا.

وقد رأيت أن علم التصوف هو الذي يوصل إلى حقيقة التوحيد دون غيره من علوم الشريعة، وإن كانت الشريعة تسبقه؛ إذ لا يمكن الوصول إلى التصوف قبل تعلم الشريعة،

كما لا يمكن تعلم الكتابة والقراءة قبل تعلم الحروف. لكن علم التصوف كغيره من العلوم، فيه الصحيح والمزيف، وفيه الحقائق والشطحات التي هي كالألغاز لا يفهمها حتى الكثير من أهله، فضلاً عن غيرهم.

وهناك من الطرق التي تدعي التصوف وهي بعيدة عنه بُعد الأرض عن السماء؛ حتى إنني وجدت بعض مريدي إحدى الطرق قد لبث أربعين سنة فيها ولا يعلم من مبادئ التصوف شيئاً! وسألت مريداً آخر من طريقة أخرى له زمن طويل في إتباعها: ماذا استفدت؟ فقال لي: "لقد استفدتُ مسكناً لعائلتي."!

يا بني، إن التصوف علمٌ يُدرس في الجامعات، بينما الطرق ليس كذلك بل قد أصبحت بعض "الطرق" مجرد أحزاب قد تُستخدم لأغراض اجتماعية أو سياسية، ولا تستعمل من الدين إلا الذكر والصلاة على النبي ﷺ، بل إن منها من يفضل أوراد الطريقة على قراءة القرآن!

لكن هناك طرقاً صحيحة على منهاج الإسلام والطريقة المحمدية، تعلم الإسلام (الأعمال الظاهرة من الشريعة)، وتعلم الإيمان (أعمال القلوب)، وتعلم الإحسان (التصوف ومعرفة الله الواحد) .

الفصل الأول: مراتب الترقي (إسلام، إيمان، إحسان)

مقامات الدين الثلاثة

إن في الدين ثلاثة مقامات هي: الإسلام والإيمان والإحسان، وهي تشبه أطوار التعليم الدنيوي الثلاثة: الأساسي، والثانوي، والجامعي.

1. **مقام الإسلام :**في هذا المقام يتعلم المسلم قواعد الإسلام الخمس بالأعمال الظاهرة؛ من قول الشهادتين باللسان، والصلاة والصوم اللذين يظهران في البداية كأنهما رياضة بدنية، وكذا الحج لمن استطاع إليه سبيلاً وهو أشبه بالسياحة الروحية، وإيتاء الزكاة من باب التكافل الاجتماعي. وكلها مبادئ لابد منها للمسلم حتى يتمكن من الترقي لما هو أعلى منها؛ أي إلى الإيمان ثم الإحسان.

لكن مشكلة أغلب المسلمين في عصرنا هي اعتقادهم أن هذا (الركن) هو كل شيء في الدين، خاصة وأن الله سمى الدين عند الله الإسلام، وما علموا أن "إسلام الركن" ليس هو "إسلام الدين" بمفهومه الشامل؛ لذا ترى منهم من يمضي عمره كله في "ركن الإسلام" ولا يترقى إلى ما سواه.

قال صاحب (إحياء علوم الدين): إن ركن الإسلام كالمرحلة التي يتحضر فيها الرجل إذا استدعاه الملك لمقابلته؛ فإنه يتطهر ويتنظف ويلبس أحسن ثيابه ويتعطر ويتدرب على آداب الجلوس والحديث، ثم يمضي لملاقاة الملك. أما الجاهل، فيمضي حياته كلها في ذلك "التحضير" ولم يقابل الملك قط، فكان تعبه بلا طائل. لكن العارف فعل ذلك وأسرع إلى مقابلة

الملك، فقبله ورحب به وأنزله "قاب قوسين أو أدنى"، وأمطره بالعطايا والنعم التي لا تعد ولا تحصى. (بتصرف)

إن البقاء في ركن الإسلام طول العمر لا يحمي صاحبه من "الشرك الخفي"؛ حيث يرى لنفسه وجوداً وفعلاً مع فعل الله، فلا نجاة إلا بالترقي؛ حيث "الإسلام الحقيقي" الذي يتم فيه تسليم المسلم نفسه وجميع أمره لمولاه، بلا حول منه ولا قوة.

.2مقام الإيمان :للإيمان ستة أركان، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر. فالخمسة الأولى لا تختلف كثيراً عن قواعد الإسلام إلا بأنها "قلبية" وليست "ظاهرية" فحسب. إذ إن المسلم في مقام الإسلام يقر بوجود الله واليوم الآخر، ولكنه قد لا يحقق الإيمان الكامل بالقضاء والقدر؛ لذا نجد الكثيرين لا يؤمنون بالقدر حق الإيمان، وأفضلهم من يؤمن ببعضه ويكفر ببعض، فيقول: "الإنسان مسير ومخير في آن واحد". أما الذي بلغ حقيقة الإيمان، فإنه يؤمن بالقدر كله؛ خيره وشره، حلوه ومره، كما جاء في الحديث. والأدلة القرآنية التي تثبت القضاء والقدر كثيرة، منها قوله تعالى :(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)، وهي آية لا تحتاج إلى تأويل.

.3مقام الإحسان :الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. والمحسن هو من لا يرى في الوجود إلا مظهر الله. وأما تفسير كلمة "تعبد" فهي بمعنى "تعرف"، كما فسرها ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى :(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (أي الا ليعرفونِ).

ويمكن سحب هذا التفسير على آيات وأحاديث كثيرة؛ ففي الإحسان تعرف الله كأنك تراه فلا تجد أحداً سواه. جاء في

الحديث: "كان الله ولم يكن معه شيء، وكان عرشه على الماء". وانظر كيف ذكر العرش والماء وهما مخلوقان، لكنهما لا يوجدان "مع" الله وجوداً استقلالياً يشاركه في الأحذية. وقال تعالى :(فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) أي لا وجود لوجهٍ غير وجهه. فالمحسن يغيب بشهود الله عن رؤية العرش والماء والسماء وكل مخلوق.

وقيل في تفسير قوله تعالى :(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) أن ذلك لعدم وجود "الشيء" أصلاً مع الله وجوداً حقيقياً. وهذه الرؤية هي مبدأ "وحدة الوجود" بإثبات الوجود كله لله وحده؛ فهو الأول والأخر وهو الظاهر والباطن، فليس هناك سواه .

أما كيف تُمكن رؤية الله؟ فإنها ممكنة لمن "ليس له وجود" مع الله. فلإنسان إذا تبرأ من وجوده وحوله وقوته، يصبح الله سمعه وبصره، كما جاء في الحديث القدسي: "كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به..". فيرى الله ببصر الله لا ببصر المخلوق. فالمؤمن إذا تقرب بالفرائض والنوافل وأحبه الله، فنيَ عن نفسه ومات عن وجوده الوهمي، وهي حالة تسمى (الفناء في الله والبقاء بالله)؛ فيكون الله هو السامع والمبصر والرامي (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).
وهذا الفناء يشبه الموت الحقيقي وقيام القيامة، حيث يرى المحسنُ اللهَ ببصر الله. ففي يوم القيامة يقول الله) :لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ (فلا أحد يجيب لعدم وجود أحد، فيجيب سبحانه عن نفسه (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) .ومما يثبت هذه الرؤية قوله ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"؛ ومن ينظر بنور الله يرى الله.

أسباب الترقي بين المقامات : للترقي من الإسلام إلى الإيمان ثم الإحسان، لابد من:

1. أداء الفرائض والنوافل :لقوله تعالى في الحديث القدسي: "ما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه. ولا يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتّى أحبّه."..
2. التوبة النصوح :وذلك برد المظالم، والعزم على ترك المعاصي والندم عليها. فرد المظالم واجب لا بد منه؛ لأن الله قال في آيات عديدة (إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)
3. قد تكون هناك مظالم لا يمكن ردها بذاتها لغياب او جهل صاحبها أو ان المظلمة في ذاتها يستحيل ردها كالسب والشتم أو القذف وما شابه ذلك، فان ردها يكون بعمل الحسنات وإهداء ثوابها لصاحب المظلمة، حتى إذا كان يوم القيامة يعطى من ذلك الثواب ويعفوا عن ظالمه .

الفصل الثاني: سر الاسم الأعظم "الله" ومعنى اسمه "الصمد"

اشتقاق اسم الجلالة "الله":

مع كون اسم الجلالة "الله" اسماً عربياً، إلا أن الكثيرين لم يدركوا لطافة اشتقاقه، فقالوا إنه اسم "جامد" لا اشتقاق له، مع أن الحقيقة غير ذلك. فله اشتقاق واضح مذكور في آيات كثيرة، وفي "آية الكرسي" بالخصوص؛ لذا كانت أعظم آية في القرآن، حيث يقول تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)

فاشتقاق اسم الله من عبارة "إلا هو "واضحٌ وضوحاً كبيراً؛ إذ يمكن القول بأنه: لا حيّ إلا هو، ولا موجود إلا هو، ولا خالق إلا هو، ولا رازق إلا هو، وهكذا في جميع الأسماء والصفات. مما يجعل اسم "الله" هو الجامع لكل أسمائه وصفاته؛ فهو "إلا هو" حيّاً وموجوداً وربّاً ومَلِكاً. بهذا نكون قد عرفنا لبّ التوحيد وحقيقته، وأن الله لا يشاركه شيء؛ فلا فاعل إلا هو، ولا نافع ولا ضار إلا هو. ومن هذه الكلمة الحاصرة الجامعة "إلا هو" اشتققتُ عنوان كتابي هذا.

إن كلمة "إلا هو" هي كلمة الحصر وإثبات التوحيد الصرف، وتعني عدم وجود أي شيء بحق إلا هو؛ فقولنا "الله" هو عين قولنا "إلا هو"؛ إذ لا موجود في الحقيقة إلا هو، وما سواه إلا تجلياته ومظاهره، وهذا هو سر الاسم الأعظم.

إضاءات:

- اسم الله مشتق من كلمة "إلا هو."
- "إلا هو" تعني حقيقة الله في أحديته.
- "إلا هو" تعني التوحيد الكامل (فناء الأغيار)
- ذُكرت "إلا هو" 39 مرة في القرآن الكريم.

معرفة الله:

لا يُعرف الله تعالى إلا من خلال مخلوقاته التي هي "مظاهر" له، خلقها لتُظهره وتُجليه في أفعاله وصفاته وذاته؛ إذ لا يوجد شيء آخر يُظهره سواها. ولكن، لم يمنحها "الوجود المستقل" معه كما ذكرنا؛ وذلك حتى لا تكون شريكاً له، فإنه سبحانه لا يقبل الشريك.

فعلى من يرى الأكوان أن يرى خالقها الذي سوّاها وحرّكها فيما يريد، فكان هو "هي" (بمعنى أنه قيومها ومظهرها) بينما لم تكن هي "هو" (لأنها في ذاتها عدم). فهي "له" وليست "معه"، قال تعالى إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .فهي له لكونها لم تُعطَ الوجود الاستقلالي، وليس لها أفعال ولا صفات إلا عند "المشركين" الذين يرون الخلق قائماً بنفسه مع الله؛ تعالى الله عن وجود شيء معه.

هذا الكلام قد يكون غامضاً عند من هو في مقام "الإسلام" ولم يترقَّ إلى الإيمان والإحسان؛ فإن وجود الخلق في رتبة الإسلام ضروري لتعلم الدين. وقد يظن البعض أن هذا الاعتقاد "معطل للشريعة" لأنه ينفي وجود المخلوق المستقل، فكيف يكون التكليف لشيء غير موجود؟

وتوضيح المسألة: أن مقام "الإسلام" يُخاطَب فيه المخلوق بصفته موجوداً ومكلفاً، فالإسلام في هذه المرتبة كالتعليم

الأساسي؛ يتعلم فيه التلميذ القراءة والكتابة، فإذا ترقى للتعليم العالي لا يتخلى عنها، بل تتطور لديه وتأخذ أبعاداً أعمق. فكذلك الشريعة لا تُعطل مهما ترقى الإنسان، فهي "النظام والقانون" الذي يحدد العلاقة بين العبد وربه وبين المخلوق والمخلوق مثله.

في مقام الإسلام، تكون الطاعة بالإكراه أو الجهد (كما يُؤمر الأطفال بالصلاة)، ويكون المخلوق هنا مثبتاً لنفسه وجوداً لضرورة التعلم. أما في مقام "الإحسان"، فتكون العبادة عن "حب"؛ كما قال ﷺ: "حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ.." وذكر منها الصلاة. وهنا ينتقل الوجود من وجودٍ "بالنفس" إلى وجودٍ "بالله" (أو بالروح)، وبزوال رؤية النفس يظهر وجود الله واحداً لا شريك له، فيكون هو العابد والمعبود (باعتبار القيومية)، وهذا هو مقام العرفان ووحدة الوجود.

إن الله لم يحلّ في المخلوق ولم يتحد معه، بل أفنى صفة "النفس" الوهمية من شهود العبد وأثبت الروح التي هي من أمره؛ فبزوال النفس التي هي عدم أصلاً، تبقى الشريعة قائمة بمدد الله.

إضاءات:

- وجود الخلق في مقام الإسلام ضروري لمعرفة التكليف.
- شهود "وحدة الوجود" لا يعطل الشريعة بل يحييها بالحب.
- الشريعة في البداية من العبد إلى الله، وفي النهاية هي من الله بالله ولله.

لماذا لا يغفر الله الشرك ويغفر ما دونه لمن يشاء؟

العاصي قد يكون عارفاً بالله، أما المشرك فإنه "جاهل" بالله؛ فهو أكثر من عاصٍ، لأنه كافر بنعمة الله إذ ينسبها لغيره، وهذا ظلم عظيم. المشرك ينسب النعم (الرزق، الشفاء، النفع) للمخلوقات، فيتوكل عليها ويستجير بها؛ فإثبات شريك لله هو "جناية" أعظم من "جنحة" العصيان ومخالفة الأوامر. لذلك كان الشرك الذنب الوحيد الذي لا يغفر إذا مات صاحبه عليه، لأنه يهدم أصل المعرفة.

إضاءات:

- الشرك ظلم كبير للذات الإنسانية قبل كل شيء.
- المعاصي (مع التوحيد) أهون من الشرك.

حقيقة الشرك:

ليس الشرك هو السجود للأصنام فحسب، أو اعتقاد أرباب وآلهة مع الله بل الشرك بالله في أي شيء ولو كان ذرة، قال تعالى (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) فمن عرف أن الله ليس له شريك في الملك، وصل حتماً إلى "وحدة الوجود"؛ وهي نتيجة لازمة لعدم رؤية شريك لله.

الذين لا يؤمنون بوحدة الوجود يزعمون أنهم "ينزهون" الله بجعله منفصلاً عن خلقه، فأثبتوا موجودين اثنين (الله والخلق)، فصار تنزيههم شركاً من حيث لا يشعرون! بينما الحقيقة أنه لا موجود إلا الله، والخلق "مظهر" له؛ والمظهر لا يقوم بذاته دون مظهِره، كالصفات التي لا تقوم دون موصوفها.

ومن نوادر الاعتقاد قول بعض المتكلمين: "صفات الله ليست هي هو، وليست غيره"، وهذا كلام لا يدركه إلا من عرف سر الروح؛ فهي ليست الله (لأن الله منزه عن التجزئة) وليست غيره (لأنها بمدده وأمره)

إذن هما طريقان: التوحيد (شهود موجود واحد لا غير)، أو الشرك (رؤية أكثر من موجود مستقل). وكيف يكون له شريك وهو القائل : (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

حقيقة الوجود :

يجب على الإنسان أن يعرف حقيقة الوجود الذي يعيش فيه من انه وجود خيالي وليس حقيقي كوجود الماء في السراب فهو وجود غير حقيقي يشاهده كل إنسان عاقل .

فالماء غير موجود في السراب وان كان منظورا بالعين فكذلك المخلوق موجودا بالعين لكنه غير موجود بالحقيقة عند التعقل والتدبر حيث ينكشف عن كونه سرابا مثل الماء في السراب ويجد الله حقيقة مكان السراب. معنى ذلك إن الحياة ما هي إلا حلم يحتاج إلى تعبير وتفسير لان ما يجري على أيدي المخلوقات هو ليس منها وإنما هو من الله وحده .

الأمثلة على دلك كثيرة منها من يدبر الأمر ؟ من يخلق الخلق ؟ من يحي ويميت ؟ من يرزق ؟ من له الحول والقوة ؟ من بيده المصير ؟ من يهدي من يشاء ؟ من يضل من يشاء ؟ من له الملك ؟ من هو على كل شيء قدير ؟ من يقول للشيء كن

فيكون ؟ من هو الرحمان الرحيم ؟ من لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ؟ من لا يقع في ملكه ما لا يريد ؟ وغير ذلك كثير .

يقال لمن كفر بوجود الله وكفر بنعمه لو امسك عنك الماء من غير الله يأتيك بماء ولو امسك عنك الهواء من اله غير الله يأتيك بهواء ، ولو امسك عنك الشفاء من اله غير الله يشفيك من الداء ، ولو امسك عنك الحول والقوة من اله يأتيك بالحول والقوة ولو امسك عنك الطعام من اله يأتيك بالطعام ، ولو امسك عنك البصر من اله يأتيك بالبصر وكذلك السمع والقدرة وكل شيء فاعرف أيها الإنسان من أنت ومن ربك قبل أن تموت بجهالتك وتقول ربي أرجعوني اعمل غير الذي كنت اعمل فليس لك إلا هذه الحياة الدنيا كي تعلم وتعرف إن ربك هو حقيقة الوجود أما الآخرة فلا علم فيها بل هي دار جزاء لما حصلته في دنياك .

اضاءات :

- الدنيا سراب
- الحياة الدنيا حلم يحتاج إلى تفسير
- تفسير هذا الحلم إن الله هو الحق وان الخلق هم الباطل

الفناء في الله والبقاء بالله :

لا يمكن البرأة من الشرك واثبات التوحيد الصحيح إلا بفناء النفس من الوجود ، والحقيقة إن هذه النفس هي مجرد وهم لا أصل له وهي فانية قبل أن نفنيها لان الإنسان يتكون من روح ومادة لا ثالث لهما لكن الروح عندما أصبحت لبني آدم

صارت تسمى نفسا وليس روحا لكن من زكاها وأرجعها إلى حقيقتها من أنها روح من الله فقد افني نفسه وعرف ربه .

من إن الروح هي الحق والنفس هي الباطل .

وبمجرد فنائها يبقى الإنسان بالروح أي بالله لذلك نجد أهل التصوف يقولون بالفناء في الله والبقاء بالله حتى يصح لهم التوحيد

قد يتسأل البعض عن شرعية هذا الفناء وانه غير مذكور لا في القران ولا في الأحاديث الصحيحة والجواب عن ذلك إن الفناء مذكور في الكثير من الآيات بالمعنى وليس بالفظ ففي قول الله تعالى " ولا تشركوا بالله شيئا " وقوله أينما تولوا فثم وجه الله" وفي اسمه الله المشتق من كلمة إلا هو واسمه الصمد وفي حديث كان الله وليس معه شيء كلها عند تفسيرها تعطينا عدم وجود وفناء ما سوى الله

اضاءات :

- تزكية النفس بفنائها
- النفس لا وجود لها في الحقيقة
- الإنسان من روح ومادة فقط

لفصل الثالث: الحقيقة الوجودية (الخالق والمخلوق)

تفسير قول التوحيدي: " هو أنت.. ولكنك لست هو "

اعلم أن الصراط كحد السيف، كما جاء في قوله ﷺ:
"..فيمرون على الصراط، والصراط كحد السيف"؛ لذا فإن المرور عليه يحتاج إلى "تحقيق دقيق". فلقد أخطأ من قال "أنا الله" معتقداً أنه يوحّد الله، وذلك لأن الله هو "سرنا" لأنه روحنا، ولكننا لسنا "هو" لأن الله أعظم منا وأكبر، وإنما نحن "له" لأن روحنا منه.

ولتوضيح هذه المسألة، نعود لحديث: "إن الله خلق آدم على صورته"أي على صورة الرحمان؛ فإن يدك هي "لك" وليست "أنت"، فإذا رميتَ تكون أنت الرامي (أي هي مظهر لفعلك)، لكنها لا يمكن أن تكون "كلك" لأنها جزء منك؛ فهي لك وليست أنت في كليتك. هنا تكمن صعوبة المرور على الصراط؛ ومن هنا ندرك سبب كفر النصارى حين قالوا إن الله هو المسيح، لأنهم رأوا أفعال الله تجري على يديه وما علموا أن الله نفخ من روحه في مريم ولم ينفخ "كل ذاته"، فهو تعالى أكبر من عيسى وأمه ومن في الأرض جميعاً؛ فعيسى وجميع الخلق "لله" وليسوا "الله."

فمعنى "هو أنت" أي أنك مظهره وتجلياته، ومعنى "لست هو" أي أنه سبحانه أكبر من مظهر واحد، بل له جميع

المظاهر في السماوات والأرض. وبذلك يرفع التوحيدي الشبهة عن بعض الشطحات الصوفية.

إضاءات:

- هو أنت؛ لأن روحك منه وبمدده.
- لكنك لست هو؛ لأنك مظهر محدود وهو المطلق سبحانه.
- السير على الصراط يتطلب دقة في الاعتقاد لئلا يقع العبد في الحلول أو التأليه او الشرك.

وحدة الوجود:

إن وحدة الوجود التي يقول بها أهل التصوف تعني أنه "لا موجود بحق إلا الله"، أما المخلوقات فهي مظاهر تجلى فيها الله بصفاته وأفعاله وذاته. والمظهَر (بالفتح) لا يوجد مع المظهِر (بالضم) وجوداً مستقلاً، كما لا يوجد الظل بدون الشخص؛ فوجود الظل من وجود الشخص، وإذا فُني الشخص فني الظل.

وكمثالنا السابق: الحصير المصنوع من "الحلفاء"؛ فالحصير مظهر للحلفاء، فإذا نزعنا الحلفاء لم يبقَ للحصير وجود. فكذلك الخلق مع الله (ولله المثل الأعلى)؛ فإذا قلنا "الحصير والحلفاء" فنحن لا نثبت موجودين اثنين، بل نثبت أن الحصير لا وجود له لولا الحلفاء.

وحدة الوجود هي أرقى أنواع نفي الشريك لله؛ لأن التوحيد ليس مجرد كلمة باللسان، بل هو شهود الحقيقة بالدليل والبرهان، فلا يرى العبد في الوجود موجوداً سواه. إن أغلب

المعارضين لهذه النظرية يظنون أنها تعني "الحلول" (أي أن الله حلّ في الخلق)، وهذا غير صحيح؛ فالله لا يحتاج لمكان يحل فيه لأنه كان قبل المكان، ولا لشيء يتحد معه لأنه كان ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان.

إضاءات:

- وحدة الوجود تفني شهود الأغيار ليظهر الواحد.
- وجود "وجه الله" لا يترك وجوداً حقيقياً لوجه غيره.
- الدواء والطبيب هما "مظهر" لاسم الله الشافي، فالفعل لله والمظهر لهما.

التقوى:

للتقوى معانٍ تتدرج بمراتب الدين؛ ففي "ركن الإسلام" هي اجتناب المعاصي بالجوارح. أما في "ركن الإيمان" فهي تقوى القلوب؛ أي فناء رؤية المخلوق ليبقى الوجود لله وحده. وجاءت في القرآن بمعانٍ عدة كالحق والصلاح والطاعة، ولكن مجملها يعني أن الله واحد لا شريك له.

تقوى العارفين هي "اتقاء رؤية غير الله"، فلا ينسب الولي لنفسه ولا لغيره وجوداً أو تأثيراً. قال تعالى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) .فبينما تكون التقوى في الإسلام عملاً بالجوارح، تكون في الإيمان "لباساً" يستر العبد بالفناء في الله؛ (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ)

الإخلاص:

الإخلاص سرّ بين العبد وربه؛فلا يعلمه ملك يكتبه ولا شيطان يفسده وهو قول المؤمن :(إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي أن أفعالي كلها لله (منه وإليه) وليست مني ثم "أعطيها" لله؛ فالله غني عن العطاء.
الإخلاص الحقيقي هو أن يخلص القلب من رؤية "النفس" بأنها فاعلة، فترى أن الله هو الذي أجرى العمل على يديك بصفاته وقدرته. الإخلاص هو "ألا وجود"، والرياء هو "الظهور"؛ فمن فني عن ظهوره أخلص لربه.

الولاية:

الولاية هي ما بقي للبشرية من درجات القرب بعد انقطاع النبوة والرسالة. وشريعة الولاية تنظر للباطن كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام. والأولياء أحياء عند ربهم يرزقون، لأن من شاهد "الحي الذي لا يموت" استمد من نوره بقاءً.

والولاية نوعان :مكتسبة (بالنوافل والطاعات حتى يحبه الله)، وموهوبة (يتفضل بها الله بمحو الوجود الوهمي للعبد). وفي الحقيقة، الله وليّ كل خلقه، لكن الولي هو من "عَلم" أن الله يتولى أمره، وغيره من "جهل" فظن أنه وليّ نفسه فاتبع هواه.

صفات الله السبع:

لله سبع صفات هي أمهات الصفات: (الحياة، العلم، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام). من ينسب هذه الصفات لنفسه فقد أشرك؛ فهي تجليات الحق في خلقه. فالبرنوس يتدفأ بهلكن، الدفء هو للصوف لا للبرنوس. فالموحد يرى صفات الحق سارية في الخلق، فيخلع رداء الصفات عن نفسه ليرى أنها فانية في صفات موجده فيفنى الفاني ويبقى الباقي.

إضاءات:

- نسبة صفات الله لخلقه على سبيل الاستقلال هو شرك خفي.
- أهم الصفات هي "الحياة"؛ فإذا لم تكن حياً بذاتك، فكيف تملك سمعاً أو بصراً أو حولا أو قوة ؟

الفصل الرابع: حقيقة النفس والروح وعالم الأوهام

معرفة النفس:

إن النفس هي الروح التي نفخها الله في آدم ومن بعده في ذريته وهم في بطون أمهاتهم؛ فالروح والنفس وجهان لعملة واحدة؛ وجهٌ حقيقي وهو الروح، ووجهٌ وهمي مزيف وهو النفس. فالإنسان يتكون من روح ومادة، ولا ثالث لهما؛ فإما أن ننسب "النفس" للمادة وهو محال لأنها ليست مادية، أو ننسبها للروح وهو الصحيح، لكن إذا قلنا "الروح" فهي من أمر الله، وإذا قلنا "النفس" فهي "نحن" ببعدنا الانفصالي الوهمي.

إن الروح عندما استقلت في الجسد، ظنت أنها حرة عن الله وتجاهلت أصلها، فأصبحت "نفساً" بدلاً من كونها "روحاً من الله"؛ فضلّت وصارت أمارة بالسوء ولوامة. لكنها إذا تزكت وتابت ورجعت إلى أصلها، تصبح روحاً مطمئنة.

لقد قلنا إن الله هو سرّنا، ونحن (بصفتنا النفسية) لسنا الله؛ لأن النفس هي مجرد "ادّعاءٌ" للوجود، بينما الروح هي "الحقيقة"

المستمدة من الله. إن هذه النفس هي في الحقيقة مجرد وهم، ظننا فيه أن الروح هي "نحن" فأسميناها نفساً، وبدلنا الروح التي هي "لله" بالنفس التي هي "للمخلوق"، فتجاهلنا الأصل واشتغلنا بالفرع فشقينا وضللنا. لذا وجب تزكية النفس بفنائها لترتقي إلى صفة الروح؛ قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا). وتزكيتها تكون بمعرفة أنها عدم، واستبدال رؤيتها برؤية الروح التي هي حقيقتها. قال ﷺ: "من عرف نفسه عرف ربه"؛ أي من عرف أن "نفسه" صفة باطلة للروح، وأفنى هذا الباطل، عرف أن الروح هي الحقيقة الثابتة من أمر الله.

العارف بالله يقول: "أعوذ بالله من كلمة أنا"؛ ليحق الحق (الله) ويزهق الباطل (الأنا/النفس). فالشيطان أضلّ الإنسان بأن أنساه أصله الروحي، فصار ينسب الحول والقوة لنفسه (الآدمي) لا لله، ولا فلاح له إلا بالرجوع لكونه روحاً لا نفساً؛ فتزول النفس "الوهم" ويبقى الحق وحده لا شريك له.

إضاءات:

- الروح والنفس وجهان لعملة واحدة؛ الروح هي الوجه الحق، والنفس هي الوجه الوهمي.
- الروح من الله، والنفس هي ادعاء المخلوق للاستقلال.
- من أثبت الروح عرف، ومن أثبت النفس ضل.
- العارف يستعيذ من كلمة "أنا" لأنها حجاب النفس.

معرفة الشيطان:

كلمة "الشيطان" في اللغة تعني البعيد؛ فكل من كان بعيداً عن الله فهو شيطان. والبعيد هو الذي أثبت النفس ونفى الروح (كفراً)، أو أثبتهما معاً (شركاً).

والشيطان ككل المخلوقات هو "مظهر" لله؛ إذ لا موجود معه سبحانه، ودور الشيطان هو إبعاد أهل الظلم عن التوبة بإشغالهم بإثبات النفس ونفي الروح. وله دور آخر ارتضاه الله له، وهو أن ننسب إليه كل ما لا يليق بالذات الإلهية "تأدباً وتعظيماً"؛ فإذا نسيتَ فلا تقل "الله أنساني" بل قل كما قال فتى موسى: (وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ). فنحن ننسب القبائح للشيطان تأدباً، وإن كنا نعتقد في قرارة التوحيد أنه "لا فاعل إلا الله".

إضاءات:

- الشيطان مظهر لاسم الله "المضل" في حجاب الأغيار.
- خُلق الشيطان ليُنسب إليه النقص والرذائل تأدباً مع الله (المنزه عن كل نقص).

هل الإنسان مسيّر أم مخيّر؟

اعلم أن جميع الخلق مسيّرون بلا استثناء، غير أن هناك نفوساً لم تؤمن بذلك لأنها لم ترتقِ لمقام الإيمان بالقضاء والقدر، فظنت أنها "مخيرة" تفعل ما تشاء. وهناك من قال إنه "مسيّر ومخيّر" في آن واحد، وهو اعتقاد ناقص. أما العارفون فقد أسلموا مئة بالمئة للقضاء والقدر متبعين الحقيقة الوجودية.

يُروى في الإشارات أن النفوس "المسيرة" (التي فنيت عن إرادتها) تدخل الجنة بفضل الله لأنها لم ترَ لنفسها فعلاً، أما الذين قالوا إنهم "مخيرون" فيُحاسبون على أفعالهم التي أثبتوها لأنفسهم. وما ربك بظلام للعبيد

إن إثبات القضاء والقدر هو إثبات حكم الله، ونفيه هو إثبات حكم النفس.

لماذا يفعل المؤمن المعاصي لكنه لا يكذب؟

جاء في الأثر أن المؤمن قد يقع في بعض الذنوب لكنه لا يكذب؛ وتفسير ذلك أن المؤمن لا يرى غير الله حتى يكذب عليه؛ فهو صادق مع الخلق لأنه يرى فيهم مظهر الحق الذي لا يخفى عليه شيء. أما غير المؤمن فيعتقد بوجود المخلوق "مستقلاً"، فيظن أنه يستطيع الكذب عليه، فكذبه نابع من شركه برؤية الأغيار. فالكذب أصل الشرك لأنه يقوم على توهم وجود "مخلوق" يُكذب عليه بعيداً عن عين الله.

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلُ:

هذا الشطر يلخص الحقيقة الوجودية؛ فكل ما سوى الله باطل (لا وجود حقيقي له)، وما نراه هو وهم كالسراب. الله هو "الصمد"؛ والصمد هو الذي ليس بأجوف، أي ليس فيه فراغ لغيره.

خلق الله آدم، وقبل نفخ الروح كان "أجوف"، فقال الشيطان للملائكة: "لا تخشوه فإنه أجوف"، فالله هو الصمد الذي لا مكان لديه لشريك. معرفة الله كالشمس، إذا ظهرت اختفت النجوم؛ بل إن الخلق مع الله لا وجود لهم أصلاً. العارفون قديماً كانوا يستعيذون من كلمة "أنا" لعلمهم أن الله هو الفاعل وهم مظهر مفعول به.

انقسم الناس في عصرنا إلى ثلاث عقائد:

1. الملاحدة: يرون الخلق ولا يرون الله (كفر بواح).

2. المحجوبون: يرون الله ويرون الخلق معه (شرك خفي).
3. المؤمنون العارفون: يرون الله وحده، والخلق مجرد مظاهر كسراب أو كـ "برنوس صوف"؛ فالأصل هو الصوف (الله) والمظهر هو البرنوس (الخلق).

الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا:

الناس في الدنيا في "حلم" يحتاج إلى تأويل؛ فمن هداه الله عرف وهو في منامه أنه في حلم، فأوّله بأنه "لا موجود إلا الله". أما الغافل فيظن الحلم حقيقة.

ان الاستيقاظ الحقيقي يبدأ بيقظة القلب في الدنيا؛ فتعرف أن كل الصور التي تراها تجليات للحق، فإذا رأيت فعلاً من الخلق أرجعت بقلبك الأمر للخالق، فتكون قد حققت ذروة التوحيد.

عقيدة أهل السنة وحقيقة الوجود

بني.. أحفظ عقيدة ابن عساكر؛ فهي الميزان. واعلم أن الدنيا "سراب"؛ الماء فيه منظور بالعين لكنه غير موجود بالحقيقة. فتعامل مع الخلق على أنك تعامل الله؛ فلا تظلم، ولا تكذب، ولا تغش؛ لأنك تعلم أن الله هو "حقيقة" هؤلاء المظاهر.

المتن :

قال الشيخ فخر الدين بن عساكر (المتوفي سنة 620 هـ) رحمه الله:

اعلم أرشدَنا الله وإياكَ أنه يجبُ على كلّ مكلّف أن يعلمَ أن الله عزَّ وجلَّ واحدٌ في مُلكِه، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ

والعرشَ والكرسيَّ، والسَّمواتِ والأرضَ وما فيهما وما بينهما.

جميعُ الخلائقِ مقهورونَ بقدرَتِهِ، لا تتحركُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليسَ معهُ مُدبّرٌ في الخَلقِ ولا شريكٌ في المُلكِ، حيٌّ قيومٌ لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيب والشهادةِ، لا يَخفى عليهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ، والبحرِ وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رَطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبين.

أحاط بكلّ شيءٍ علمًا وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنَى، وله العزُّ والبقاءُ، ولهُ الحكمُ والقضاءُ، ولهُ الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضى، ولا مانعَ لما أعطى، يفعلُ في مُلكِهِ ما يريدُ، ويحكمُ في خلقِه بما يشاءُ.

لا يرجو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليه حقٌّ [يلزمُهُ] ولا عليه حكمٌ، وكلُّ نِعمةٍ منهُ فضلٌ وكلُّ نِقمةٍ منه عدلٌ، لا يُسأَلُ عما يفعلُ وهم يسألونَ.

موجودٌ قبل الخلقِ، ليس له قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يَمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ، ولا بعضٌ. ولا يقالُ متى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كان ولا مكان، كوَّنَ الأكوانَ ودبَّر الزمانَ، لا يتقيَّدُ بالزمانِ ولا يتخصَّصُ بالمكان، ولا يشغلُهُ شأنٌ عن شأن، ولا يلحقُهُ وهمٌ، ولا يكتَنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذهنِ، ولا يتمثلُ في النفسِ، ولا يتصورُ في الوهمِ، ولا يتكيَّفُ في العقلِ، لا تَلحقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) اهـ.

اضاءات :

- عقيدة أهل السنة قاعدة يرجع لها أهل الحق
- عقيدة أهل السنة قانون عام في الاعتقاد

الصراط المستقيم ومقامات الدين

الصراط المستقيم هو الطريق الأقرب للجنة، وهو "أحدُّ من السيف"؛ لا يمر عليه إلا من وفقه الله. لقد نزل الدين على ثلاثة أركان:

1. الإسلام :مقام الجوارح؛ حيث النفس موجودة ومكلفة للتعلم.
2. الإيمان :مقام القلب؛ وتكمن صعوبته في "الإيمان بالقدر"، الذي يتطلب فناء النفس؛ لأنك تنسب كل حركة وسكون لله وحده.
3. الإحسان :أن تعبد الله كأنك تراه؛ وذلك بنسف "وهم النفس."

بني.. إن "الأنا" هي الضلال الكبير. يقول المتصوفة" :موتوا قبل أن تموتوا"؛ أي اقتلوا في أنفسكم اعتقاد الوجود المستقل، لتشرق فيكم حقيقة الروح.

<u>شرح :</u>

كل الناس تطلب الصراط المستقيم وخاصة المسلمين منهم فهم يسألونه من الله في كل ركعة من صلاتهم يقولون " أهدنا الصراط المستقيم " والصراط المستقيم هو الطريق الأقرب والأسهل إلى الجنة بخلاف الصراط الغير مستقيم صراط

المغضوب عليهم والضالين فانه طريق شاق ويوصل إلى النار

- لما اهبط آدم من الجنة إلى الأرض ابتلاء له ولذريته بسبب المعصية - وكل بني آدم قد عصوا - قال لهم الله إني منزل لكم صراطا مستقيما من تبعه يرجع للجنة ومن خالفه يرجع للنار .
- هذا الصراط جاءت به الرسل والأنبياء والكتب السماوية كلها وهو الإسلام قال تعالى "إن الدين عند الله الإسلام فمن اتبع الإسلام هدي بفضل الله إلى طريق الجنة .
- لكن هذا الصراط هو احد من السيف ولا يستطيع المرور عليه إلا من وفقه الله تعالى فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء .
- نزل الدين الإسلامي على ثلاثة أركان وهي : الإسلام . الإيمان . الإحسان
- الإسلام هو أول ركن من أركان الإسلام الدين وفيه تكون النفس موجودة ومكلفة بتطبيق قواعد الإسلام الخمسة 1) الشهادتان 2)الصلاة 3) الزكاة 4) الصوم 5) الحج ووجود النفس هنا ضروري حتى يتعلم العبد الشريعة كما يتعلم الطفل الكتابة والقراءة وجداول الحساب في التعليم الابتدائي لكن انقسم الناس إلى قسمين قسم ظن إن هذا الركن هو كل الإسلام خاصة وان اسمه مطابق لاسم كل الدين الذي هو اسم الإسلام فلبث فيه كل حياته ولم يترقى إلى باقي الأركان من إيمان وإحسان. وقسم عرف من خلال القران والأحاديث إن هناك أركان أعلى من الإسلام يجب الترقي لها فبحثوا عن الأسباب التي ترقيهم لذلك فقيل لهم إن باب مقام الإيمان مغلق ولا ينفتح إلا لمن تاب توبة نصوحا وهي الندم على

المعاصي والعزم على تركها ورد المظالم لأهلها فان الله لا يهدي الظالمين، فتابوا وردوا المظالم وارتقوا إلى مقام الإيمان بفضل الله تعالى .

- الإيمان هو ثاني ركن من أركان الإسلام وفيه يتم التصديق بالقلب باركان الإيمان الستة وهي 1) الإيمان بالله 2) الإيمان بملائكته 3) الإيمان بكتبه 4)الإيمان برسله 5)الإيمان باليوم الآخر 6) الإيمان بالقضاء والقدر حلوه ومره من الله . إن الأركان الخمسة الأولى يمكن الإيمان بها بكل سهولة خاصة وان المسلم قد تعلمها في الإسلام لكن الإشكال والصعوبة في الأيمان بالقضاء والقدر الذي لا يوجد منه شيء قي مقام الإسلام ومن صعوبة الأيمان به انه يتطلب فناء النفس ومحوها من الوجود لأنه لا يترك لها فعل ولا حول ولا قوة إذ الأيمان بالقضاء والقدر هو أن تنسب أي حركة أو سكون لله وحده فتقف النفس حائرة وتتساءل عن الحساب والعقاب وعن وجودها وفنائها لذلك نجد المسلم يتردد كثيرا في الأيمان بهذا الركن فقد يؤمن ببعضه فقط كان يقول إن الإنسان مسير ومخير في نفس الوقت لكن القران والأحاديث الصحيحة تقول له لا بد من الأيمان بكله حلوه ومره وخيره وشره ، فانقسم الناس على ثلاثة أقسام مؤمن به وكافر به ومؤمن ببعضه فقط . فأما الاثنان الأخيران فقد منعوا من الترقي لمقام الإحسان أما من ءامنوا به كله فقد اهتدوا وفتح لهم باب مقام الإحسان فترقوا إليه .

- الإحسان هو المقام الثالث والأخير وفيه يعرف العبد ربه كأنه يراه أي معرفة تكاد تكون مادية ملموسة وذلك يتم بمحو النفس ونسفها من الوجود كما نسف موسى عجل

بني إسرائيل فان النفس هي التي كانت تشارك الله في الوجود وتزعم أن لها الحول والقوة فتقول هذا من فعلي وعلمي وبإرادتي مع إن ذلك في الحقيقة هو لروح الله المنفوخة في آدم وليس لها فالأفعال التي تجري على يدي بني آدم هي من الروح وليست من النفس وحتى الوجود هو وجود للروح فمتى وجدت النفس ؟ ومن أين جاءت ؟ وما هو أصلها ومنشأها ؟ فان ابن آدم يتكون من روح الله التي نفخت فيه ومن طين لا ثالث لهما فمن أين جاءت هذه النفس ثم إن الأيمان بالقضاء والقدر يثبت الأفعال والصفات كلها لله وحده فمن أين لها ما تدعيه من حول وقوة ؟

- إذن وجود النفس هو الضلال الكبير الذي يمنع المؤمن من معرفة الله وسلوك الصراط المستقيم الموصل إلى جنة النعيم، فلا بد من فنائها وموتها بالموت العلمي ألاعتقادي واثبات روح الله مكانها قال عليه الصلاة والسلام " يا أيّها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا" وقد فسر أهل التصوف هذا الحديث بقولهم " موتوا قبل أن تموتوا " لقد عبد بنوا إسرائيل العجل من دون الله فقال لهم الله اقتلوا أنفسكم ، وعبد المسلمين أنفسهم من دون الله فعليهم بقتل أنفسهم بهذا القتل ألاعتقادي أو بالتوبة من عبادتها من دون الله قبل موتهم الحيواني الذي سيصيب كل شيء إلا الله " كل شيء هالك إلا وجهه " عند فناء النفس يعرف المحسن أن جميع أفعاله وحوله وقوته بروح الله وليست بالنفس وان الله معه واقرب إليه من حبل الوريد فهو روحه وليس للإنسان اقرب من روحه وان نفسه كانت حجابا بينه وبين ربه وهي لا

وجود لها في الحقيقة بل هي وهم وباطل لا أصل لها فبمعرفة ذلك يطمئن العبد ويسعد بقرب ربه .

إضاءات ختامية:

- الله أكبر: أي أنه أعظم من كل روح منفوخة، والأمر كله له.
- الدنيا حلم، والموت يقظة، والتوحيد هو التفسير الصحيح.

الفصل الخامس: رسائل لتطبيق هذه المعارف

رسالة إلى صديقي (س): التوحيد الخالص

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى .إلى صديقي وأخي في الله (س)، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

اعلم يا أخي أن الله تعالى قال :(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ) .لقد قضيتُ عمراً في البحث حتى هداني الله لعقيدةٍ تنفي الشرك بظاهره وخفيه.

اعلم أن الخلق جميعاً -من الذرة إلى المجرة- هم "مظاهر" للحق. فمن يعتقد أنهم خلقه فقط يقع في الشرك الخفي؛ لأنه يثبت وجوداً مستقلاً مع الله. اضرب لك مثالاً: "الزربية" أو "الزورة" المصنوعة من الصوف؛ هل للزربية وجود مع الصوف؟ وهل يبقى لها أثر إذا نُزع الصوف منها؟ كلا! فكذلك الخلق مع الله؛ لا يشاركونه في الوجود، بل وجودهم "منه" وليس "من ذاتهم."

تنبيه: أخطأ الحلاج حين قال "أنا الحق"، فلو قال "أنا للحق" لكان مصيباً؛ كالزربية لو قالت "أنا الصوف" لأخطأت، ولو قالت "أنا للصوف" لصدقت. قال تعالى :(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ)؛ أي نحن "له" ولسنا "هو."

إضاءات:

- المؤمن يحب الخير للناس ويدلهم على التوحيد.
- أن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من الدنيا وما فيها.

رسالة إلى ابنـي: كيف ترى وجه الله؟

بني العزيز ..هل سألت نفسك يوماً: لماذا لا أرى وجه الله رغم قوله :(فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)؟ الجواب: لأن بصر "النفس" لا يرى إلا المخلوق. لن ترى وجه الله حتى يكون هو بصرك، كما في الحديث القدسي" :كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به."

هذا المقام (مقام الإحسان) يُنال بطريقتين:

1. بالكسب :كثرة النوافل والفرائض حتى يحبك الله ويتولى أمرك.
2. بالموهبة :فناءٌ يُلبسه الله للعبد، فيفنيه عن نفسه ويبقيه به. عندها، لو أراد الولي رؤية "المخلوق" لم يجده؛ لأن ظهور الله غيّب ظهور ما سواه.

رسالة في الغنى والحرية

بني الحبيب ..منذ عرفت الله، استغنيتُ به عن خلقه؛ فصرت أغنى أهل الأرض. لم أعد فقيراً إلا إليه، آكل ما حضر وألبس ما ستر، وأنتظر ما يأتي به القدر. الخلق في نظري مجرد "مظاهر" يحركهم كيف شاء؛ لذا لا أرى لهم نفعاً ولا ضراً . الغنى ليس بكثرة المال، بل بعدم الاحتياج للمخلوق. الحياة مسرحية أو "منام"، وتفسير هذا المنام هو :(لا موجود إلا الله) .

وصيتي لأبنائي وبناتي (إذا أماتني الله)

أعزائي ..إذا فارقتكم، فلا تحزنوا؛ فإني ذاهب إلى رب رحيم. لقد أمضيت عمري أطلب معرفته حتى طهّرني من أوساخ الشرك ووهم النفس .لقد جئت ربي كما ولدتني أمي؛ فقيراً، عارياً، لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً، فأفنيت "نفسي" وأثبتُ "روحه" التي نفخها فيّ .لم أترك لكم مالاً، بل تركتُ لكم "علماً": هو توحيد الله. اجعلوا الدنيا في أيديكم لا في قلوبكم، وتخلقوا بأخلاق الله (الكرم، الشجاعة، العدل، العفة) واعلموا بأعزائي إنني إذا فارقتكم بالموت فقد أكملت فترة الابتلاء (الحياة الدنيوية) وانتهى اجلي ولم يبقى شيء لي من الدنيا وانتقلت إلى السعادة الكبرى فلا تحزنوا علي لأنني ذاهب إلى رب رحيم يجازي على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويعفوا عن السيآت .

إنني بفضله ورحمته أمضيت عمري في طلب معرفته حتى إذا هداني إليه وعرفته وتطهرت من جميع أوساخ الشرك ووجود النفس غفر لي كل ذنوبي وأخطائي وقبلني له عبدا لا

حول لي ولا قوة وصار كل أمري إليه وحده لا شريك له ومنحني حياة خالدة لا موت بعدها وذلك من فضله علي .

إنني بعد أن تبرأت من الحول والقوة لي ونسبتها لمن هو أحق بها أي للروح بدل النفس جعلني كيوم ولدتني أمي كما قال (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) فقيرا عاريا جائعا عطشانا لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا، ولقد أعطاني ذلك كله في الدنيا وسيعطيني أيضا في الآخرة لأنني جئته كما ولدتني أمي فأفنيت نفسي واثبت روحه التي نفخها في .

إذا وافاني الموت الحيواني الذي هو فرض على كل مخلوق فاعلموا إني به انتقلت إلى دار فيها الرحمان ملكا (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) يحب كل من أناب إليه ورجع عن الضلال ، رب وسعت رحمته كل شيء فلا تحزنوا علي واحزنوا على أنفسكم إذا أمضيتم عمركم في تجاهله وكفران نعمته بإثبات شريكا له وهو نفوسكم أما من عرفه في حياته الدنيا بأنه الروح الذي معنا فان الله يعطيه نعيم الآخرة هكذا قالت به الأديان السماوية كلها حيث دعت كلها إلى توحيده وطاعته وانتظار رحمته بحسن الظن فيه فانه عند ظن عبده به .

لم اترك لكم مالا لتتوارثوه بل تركت لكم علما لتعلموه وهو توحيد الله وطاعته تماما كما ترك العلماء والأنبياء والصالحين فإنهم جميعا لم يورثوا من متاع الدنيا شيئا، لكن لا ينبغي أن تفهموا من هذا إن عليكم ترك الدنيا وما فيها فان من سنن الله إن من طلب الأبناء عليه بالزواج ومن طلب الزواج عليه بمتاع الدنيا وإنما عليكم أن تجعلوا الدنيا مطية للخير ووسيلة

لتوصلكم إلى معرفة التوحيد عند ذلك لا تكون الدنيا اكبر همكم ولا مبلغ علمكم .

الموت الحيواني لمن جاءه ليس هو النهاية بل هو البداية في الحياة الدائمة وهو عند المؤمن الذي يحب لقاء الله هو نعمة وسعادة لا مثيل لها لان من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن أحب الله لقاءه كان الموت له نعمة عظيمة لا يماثلها شيئا لان فيها لقاء الله ولقاء الله منتهى رغبة المؤمن الذي عرفه .

قد يكون هذا الكلام غامضا وغير مفهوم للبعض الذين يجهلون إن معرفة الله ولقائه هي النعمة القصوى التي تبدو فيها نعم الدنيا كله كالخيال والسراب الذي إذا حققته لم تجده شيئا أما نعم الآخرة فهي نعم حقيقية ودائمة إلى الأبد ما رأيكم أيهما أفضل نعم زائلة تخلف وراءها حسرة في القلب إذا زالت أم نعمة لا تزول أبدا ولا شقاء بعدها ، هذا ما وعدنا به ربنا الذي لا يخلف الميعاد ونحن به مؤمنين وله مصدقين .

إن كنتم تعتقدون أن ما كنت أقوم به لكم من متاع الدنيا سينقطع عند موتي فانتم مخطئين لأنكم تعتقدون إن الإحسان مني أنا بل اعلموا إن الله هو المحسن ولست أنا وان مت فان المحسن الحقيقي لا يموت فتوكلوا عليه وارجوه واعتزوا به وحده .

قد لا يكون معقولا عندكم إذا قلت لكم أقيموا الأفراح والأعراس عند موتي فإنها مناسبة للقاء أحبتي وموعد لانتهاء من فترة الابتلاء ، إذا كنتم لا تعقلون ذلك فاصبروا واعلموا انه ابتلاكم بموتي لعلكم توعظون به .

إن الموت عندي هو اللقاء بالمحبوب الذي طال انتظاره فكيف يكون حزنا .

سلام عليكم حتى اللقاء في الجنة إن شاء الله فانا من السابقين وانتم من اللاحقين

يابنائي أودعكم هذا الكتاب وهو عصارة قلبي وفهمي عن الله تعالى فأوصيكم بما يلي : اعلموا إن الله هو الموجود الحق وحده وما سواه إلا مظهرا له وفيضا من جوده فلا تحجبكم المظاهر عن رؤية الحقيقة فلا تطلبوا من غيره حاجة ولا تخافوا من غيره ضرا فبمعرفة اسمه الصمد ستدركون انه لا فراغ في الوجود لغيره حتى ينفع أو يضر، اجعلوا التقوى درعا لقلوبكم من رؤية الغير والإخلاص جناحا يطير بكم إلى مقام الإحسان حيث ليس هناك غيره فتعيشوا في معية (إلا هو) وتذكروا دوما إن هذه الحياة ما هي إلا حلم يحتاج إلى تفسير فلا تغرنكم زخرفتها واستيقظوا من الحلم قبل موتكم ابحثوا في أرواحكم تجدوا ربكم فمن عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه لم يعرف غيره يابنائي خذوا من كتابي هذا ما صفا ودعوا ماكدر وارجوا لي القبول عند من لا شريك له

أبوكم المحب

اضاءات :

- الموت الحيواني للمخلوق لا بد منه
- والبقاء لله هو الحق
- الاتكال على المخلوق باطل والاتكال على الله هو الحق

الخاتمة: التوحيد الخالص ومغفرة الذنوب

وفي ختام هذه الهمسات، ندرك أن رحلتنا بدأت من (إلا هو) وانتهت عند (إلا هو). لقد طفنا في ملكوت الأسماء والصفات، وتجلينا في مرآة (الصمدية)، لنعلم يقيناً أن الوجود الحق لا يتسع لشريك، وأن الخلق ما هو إلا مظهرٌ لجمال الخالق وجلاله، كما يظهر الصوف في ثوب البرنوس.

إن القول بوحدة الوجود هو عين التنزيه ونفي الشريك. وما أوردناه من معارف حول النفس والروح والشيطان، والترقي في مقامات الإيمان والإحسان، إنما هو زادٌ للسالك في طريق الحق. وخلاصة الأمر أن "لا إله إلا الله" هي مختصر القول ولبه؛ فلا رباً ولا مخلوقاً ولا نفساً ولا ذرةً تشارك الله في حقيقة الوجود.

ورغم هذا المعنى العظيم، لا تظن أيها القارئ أن هذه المعارف، ولا جميع عباداتك وأعمالك الصالحة، هي التي ستنفعك بذاتها يوم القيامة؛ وذلك ببساطة لأنها كلها "عطاءٌ" من الله ونعمٌ منه إليك، وليست أعمالاً نابعة منك لتعطيها أنت لله. فكيف تطلب جزاءً على ما هو في الأصل "منحة" منه؟ بل ينبغي عليك الشكر بدل طلب الأجر.

دعنا نفترض جدلا أنها أعمالك؛ فمن الذي هداك للإيمان وحببه في قلبك؟ ومن الذي أعطاك الحول والقوة لتؤدي الطاعة؟ ومن الذي يضمن لك القبول وحسن الخاتمة؟ اعلم أن من طلب الجزاء نوقش الحساب، ومن نوقش الحساب عُذب.

إن الإخلاص الصحيح هو اليقين بأن أعمالك هي منحٌ من الله إليك، وليست منك إليه. وهذا لا يعني ترك العمل، بل لا بد من

الطاعات والعبادات ما دمت في دار الدنيا؛ لتتخلق بأخلاق الله، وتجتنب المعاصي لئلا تتخلق بأخلاق الشيطان.

إن العلم بالله الذي بثثته في هذا الكتاب يرشدك إلى "التسليم"؛ إن شاء رحمك بفضله، وإن شاء عذبك بعدله؛ فهو الهادي والمحرك، وحتى شكرك له هو نعمة منه تستوجب شكراً آخر. وانظر إلى العارفين كيف خاطبوا ربهم:

قال نبي الله داود عليه السلام : إلهي كيف أشكرك والشكر نعمة منك، فأوحى الله إليه أنك شكرتني بمعرفتك أن الشكر مني نعمة.

وقال جعفر الصادق : أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى - عليه السلام - : يا موسى اشكرني حق شكري فقال يا رب فكيف أشكرك حق شكرك، وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي قال: يا موسى! الآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك مني .

فالمسلم هو من "يسلم" أمره لمولاه، ويحسن الظن به؛ فهو الغفور الرحيم الذي يحب من أناب إليه وتوكل عليه.

هذا وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن نفسي ومن الشيطان، راجياً من الله الكريم أن يقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من قرأه.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إضاءات الخاتمة:

- إذا علمتَ أن الشكر من الله، فقد حققت حق شكره.

- إذا علمتَ أن أفعالك منه وإليه، فقد عرفته حق معرفته.
- حسن الظن بالله والتسليم المطلق هما علامة الإيمان الحقيقي.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾

تم بعون الله وتوفيقه الجمعة، 25 شعبان 1447 هـ / الموافق لـ 13 فيفري 2026 م